فريدريك شوبان

العاشق .. العبقرى

ولد فريدريك شوبان المؤلف الموسيقى ، وعازف البيانو الشهير فى قرية قريبة من وارسو عام ١٨١٠ ، كان والده فرنسى الجنسية عمل لدى عائلة الكونت سكاربيك محصلاً للضرائب للأملاك الواسعة لهذه العائلة ، وهناك تعرف بوالدة فريدريك حيث كانت تعمل مربية بقصر الكونت ، فأحبها وتزوجها فى عام ١٨٠٦م ، وفى العام التالى وضعت جوستيانا الابنة الكبرى لودفيكا ثم عام ١٨١٠م وضعت فريدريك. وفى خريف هذا العام انتقلت العائلة إلى وارسو ، حيث عين والده مدرسًا للغة الفرنسية فى المدينة ، وفى عام ١٨١١م ولدت الابنة الثالثة إيزابيلا، وفى عام ١٨١٣ ولدت الابنة إيميليا.

اعتاد فريدريك منذ طفولته تمضية ساعات تحت البيانو يستمع إلى عزف

والدته التى كانت تعشق البيانو ، وفى أحد الأيام وجده والده أمام البيانو ، يحاول أن يعزف ، وكان عمره آنذاك ستة أعوام، وهنا أحس الوالد بموهبة ابنه وحبه للموسيقى ، فقرر أن يعلم ابنه الموسيقى على يد أستاذ متخصص ، لكى ينمى موهبة طفله ويوجهها الوجهة الصحيحة ، فكان عازف الكمان والبيانو التشيكوسلوفاكى Wojciech Zywny أول أستاذ للموسيقى تدرب على يديه شوبان ، وقد شجعه كثيرًا على دراسة فن العزف على البيانو والتأليف الموسيقى وغرس أيضًا فى قلب الصغير موسيقى باخ ، وموسيقى موزار .

نشرت أول أعمال فريدريك شوبان فى نهاية عام ١٨١٧م وفى عام ١٨١٨م عزف لأول مرة فى حفلة موسيقية عامة ، وكان عمره آنذاك ثمانى سنوات فقط، وفى عام ١٨٢٢ وفى سن الثانية عشرة لم يبق لدى أستاذه Zywny ما يعلمه لهذا العبقرى ، وقد كتب شوبان لهذا الأستاذ مقطوعة بولونيز التى كانت بمثابة هدية وداع.

وفى العام التالى أكمل شوبان تدريبه على عزف البيانو بنفسه وسجل اسمه فى الجامعة ليكمل دراسته.

وفى عام ١٨٢٦م سجل شوبان اسمه فى الكونسرفتوار لدراسة التأليف الموسيقى على الأستاذ Joseph Alsner وحصل على الدبلوم الموسيقى فى عام ١٨٢٩م وخلال هذا الوقت كان شوبان قد كتب المجموعة الأولى و الثانية من أعماله الموسيقية.

فى عام ١٨٢٨م خرج فردريك شوبان للمرة الأولى من بولونيا متوجهًا إلى برلين، فبالرغم من ميوله الوطنية فقد شعر شوبان برغبة ملحة فى رؤية العلم الذى تمثل آنذاك ببرلين وفيينا وباريس وروما ولندن ، ولكن بقيت بلده فى قلبه وبقيت ذاكرته تعود إليها ، وإلى ذلك العالم الملىء بذكريات الطفولة والدراسة والحب الأول.

فقد تأثر " شوبان " بالأحداث التى عاشها وعاشتها بلده من حروب وثورات ، وقد ألف موسيقاه ، وبكى وطنه فيها وقال: " لن تموت بولونيا طالما نحن على قيد الحياة " .

وقد كتب فى رسالة إلى صديقه تيتوس يقول فيها " بلدى يعيش فى داخلى، وفى فكرى ، ووجدانى " كانت وارسو المحتلة بمثابة جرح ينزف فى قلبه.

وفى برلين حضر خمس أوبرات ، وزار المدينة ومتاحفها ، وجال فى شوارعها المزدحمة.

وفى عام ١٨٢٩م سافر شوبان بصحبة أربعة من أصدقائه إلى فيينا ، وهناك حضر عدة " أوبرات " واكتشف فى هذه المدينة ذكريات هايدان وموزار وبيتهوفن ، وقدم شوبان فى فيينا حفلتين موسيقيتين .

وكانت آخر أيام شوبان فى وارسو مليئة بالنجاحات وحب الجماهير ، والقصر الملكى، ففى عام ١٨٣٠ م قدم شوبان أول حفلة موسيقية عامة كبيرة ، على المسرح الوطنى، فاجأ شوبان الجمهور بأسلوبه الحديث وأدائه البارع ، وأعجب به النقاد ، وأشادوا بألحانه على صفحات المجلات الفنيه ، وبعد عدة حفلات ناجحة حدد موعد سفر شوبان وأمضى الأسابيع الأخيرة قبل سفره فى المنزل الذى ولد فيه فى قريته ، وقال لصديقه تيتوس: " لا أجد الشجاعة الكافية لتحديد يوم سفرى، يبدو لى بأنى إذا غادرت وارسوا لن أعود إليها مرة أخرى ، أشعر وكأنى ذاهب إلى الخارج لأموت هناك ، آه كم هو محزن أن يموت المرء بعيدًا عن وطنه". وجد شوبان صعوبة شديدة لفراقه وطنه لسببين أولهما حبه الشديد ووطنيته ، وأيضًا لأن حبه الأول هناك فقد كشف شوبان لصديقه تيتوس بأنه عاشق يحب كونستانسا غلاكوسكا ابنة المدير الفنى فى القصر الملكى ، وكانت تتعلم الموسيقى فى الكونسرفتوار على حساب الخزينة

الملكية وذكر له فى إحدى رسائله حبه الشديد لهذه الفتاة قائلاً : " لقد وجدت مثلى الأعلى ، أحبها من أعماق قلبى وروحى ، صار لى ستة أشهر كاملة وأنا أحلم بها فى كل ليلة ، مع أنى لم أكلمها حتى الآن ، لقد ألفت اللحن المتباطئ بمقام ما فى الكونشرتو رقم ٣ وأنا أفكر فيها ، كما ألفت رقصة الفالس تحية لها ، يا للمرارة عندما يكون القلب محزونًا لعدم تمكنه من الاندماج مع قلب آخر، أسر إلى البيانو ما كنت أود أن أسره فى أذنها وهى لا تدرى مقدار تعلقى بها .

كان عمره آنذاك تسعة عشر عامًا ، وكان قد حقق شهرة واسعة فى وطنه ، وكان الناس يستقبلونه أينما سار بالترحاب ، فهو يدخل إلى قصور النبلاء ، فيستقبل بترحاب وإعجاب ، وتلتف الفتيات حوله ولكنه لم ير أحدًا غير حبيبته كونستانسا التى لم تشعر بوجوده ولا بأهميته ، ولا بحبه العميق لها.

فقد كان من السهل على شوبان تبادل الحديث معها ، وهو زميلها فى الدراسة ، ولكن حياءه الشديد منعه من ذلك فظلت كونستانسا الحبيبة المفقودة بالنسبة لشوبان.

غادر شوبان إلى باريس وهو يدرك تمامًا أنه لن يرى حبيبته مجددًا وخاصة أنها قد تزوجت ، وأنجبت خمسة أطفال ، وتركت العمل بالمسرح إلا أنه حزن حزنًا شديدًا عندما علم بأنها فقدت بصرها قبل وفاتها فى عام ١٨٨٩م.

سافر شوبان إلى باريس ، وفى نيته السفر بعد ذلك إلى إنجلترا ، ولكنه بعد أن عزف فى إحدى الحفلات ، وحقق نجاحًا كبيرًا قرر البقاء فى باريس .

وبدأ حياته الاجتماعية الباريسية الناجحة التى ظلت فى عام ١٨٣٧م وخلال هذه الفترة كان شوبان قد تعرف على موسيقيين مثل روسينى وبرليوز ومايربير وغيرهم ، وقرر البقاء فى باريس بصورة دائمة ، قدم فى مدينة باريس بعد حفلته الأولى التى لاقت نجاحًا كبيرًا عددًا من الحفلات الموسيقية للطبقة

الأرستقراطية والنبلاء، وقام أيضًا بتدريس الموسيقى لأبناء الأثرياء والنبلاء فى المدينة ، وذاع صيت شوبان حتى اجتازت شهرته حدود فرنسا.

استقر شوبان فى باريس فى شقة جهزها بأثاث ثمين ، وأصبح لديه عربة وسائق وخدم ، كما امتلك أيضًا خزائن مليئة بالملابس الفاخرة والأحذية التى اشتراها من أشهر المحلات الباريسية.

تطورت أعمال شوبان بين عام ١٨٣٢م وعام ١٨٣٥م قام شوبان بتأليف سبع مجلدات موسيقية ، ونشرت أعماله فى فرنسا، وبريطانيا، وألمانيا، والنمسا وألف الكثير من المقطوعات والرقصات التى لاقت نجاحًا منقطع النظير.

هذا ولم ينس شوبان حبه الأول ، ولكن نجاحه فى مجال الموسيقى وشهرته العالمية جعلته يتناسى ، حتى قابل حبا جديدًا فى صيف عام ١٨٣٥ أثناء رحلة قام بها إلى ألمانيا، فقد تعرف إلى عائلة " وودزينسكى " أحبها شوبان وبادلته هى نفس الشعور ، كانت ماريا فتاة رقيقة تعزف على البيانو وتؤلف المقطوعات الموسيقية وترسم وتتكلم عدة لغات فبهرت شوبان بشخصيتها الخلابة، ومواهبها المتعددة وتواعد شوبان، وماريا على الزواج ، ولكن هذا الزواج لم يتم بسبب معارضة والدها .

حزنت كثيرًا ماري على ضياع حب شوبان ، ورفض مشروع زواجهما وبعد فترة تزوجت ماريا الكونت جوزيف مكاربيك ، ولكن بعد فترة تم فسخ هذا الزواج بناء على طلب ماريا ، ثم تزوجت بعد ذلك من شاب ثرى توفى بعد أشهر من زواجه منها.

لم يجد شوبان حظه فى الحب بالرغم من نجاحه فى مجال الموسيقى، ولم ينجح شوبان فى أن يجد الذى يشاركه نجاحه وعبقريته الموسيقية ، كان شوبان يقضى كل أوقاته فى تأليف الموسيقى وتدريسها حتى نهاية حياته بينما قل ظهوره كعازف بيانو فى المناسبات التى كان ينتظرها جمهوره، ومحبو

موسيقاه بفارغ الصبر ، وفى صيف عام ١٨٣٦ تعرف شوبان بالكاتبة الفرنسية "جورج صاند" التى كانت لها تأثير كبير على حياة وأعمال شوبان.

كانت جورج صاند تكبره بثمانى سنوات ، اشتهرت بأنها لا تعير أى اهتمام بالتقاليد، ولا تتصرف كما تتصرف سيدات المجتمع وترتدى ملابس الرجال وتسهر فى الملاهى حتى الصباح . كتبت جورج صاند عن علاقتها بشوبان فى روايتها Iucrezia Floriani كما اعترفت فى مذكراتها (Histoire Demavie) بحبها لشوبان ، دامت تسع سنوات ، وقفت جورج بجانب شوبان كثيرًا فقد واجه موت شقيقته إيمليا بمفرده ، فحزن حزنًا شديدًا وتوفى والده عام ١٨٤٤ فوجد " جورج " بجانبه تواسيه وتشجعه لاستكمال مشواره الموسيقى ووقفت بجانبه أيضًا عندما بدأت صحته تتدهور ، ولكن بدأت تنشأ الصعوبات والمشاكل فى علاقات جورج بفردريك فى اللحظة التى بدت هذه العلاقات فى الاستقرار ، وأدت هذه الخلافات فى النهاية إلى القضاء على التفاهم بينهما ،فهى ذات رأس عنيد فى الوقت الذى بدأ شوبان يعتقد أنه سيد المنزل وبدأ يفرض نفسه على جورج كزوج لها وبدأ أيضًا فى التدخل فى أمور ابنتها، وهنا انفجرت بين شوبان وجورج صاند فى أغسطس ١٨٤٧م مشادات عنيفة أدت إلى انفصالهما .

وفى نهاية عام ١٨٤٨م سافر شوبان إلى إنجلترا وقدم فى لندن على مسرح Guild Hall آخر حفلة موسيقية له . وفى السنة التالية بدأت صحته تتدهور إلى أن وصلت إلى التدهور التام وقال بعض المؤرخين : إن شوبان أصيب بالسل الرئوى فى حين أكد آخرون أن الربو هو سبب وفاته.

وتوفى شوبان فى عام ١٨٤٩م محققًا نجاحًا عظيمًا فى عالم الموسيقى ولكن بقى قلبه طوال حياته يبحث عن الحب والاستقرار ولكن دون جدوى.